مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد السابع والخمسون
شوال ١٤٤١هـ

عمادة البحث العلمي
Deanship of Academic Research

www.imamu.edu.sa
e-mail : arabicjournal@imamu.edu.sa

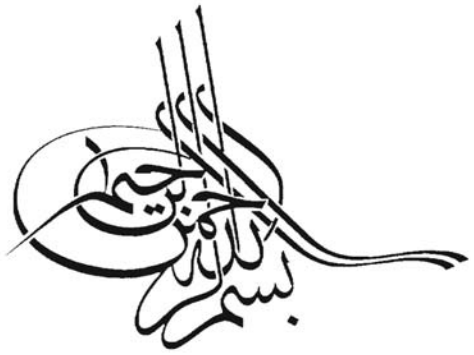
بسم الله الرحمن الرحيم

الأسلوبية مفهومها وموقف الدارسين العرب منها

أ. د. إبراهيم بن منصور التركي
قسم البلاغة – كلية اللغة العربية
والدراسات الاجتماعية – جامعة القصيم

د. عبد العزيز بن عبدالله بن صالح أبا الخيل
قسم الأدب - كلية اللغة العربية
والدراسات الاجتماعية – جامعة القصيم

الأسلوبية مفهومها وموقف الدارسين العرب منها

أ. د. إبراهيم بن منصور التركي
قسم البلاغة – كلية اللغة العربية
والدراسات الاجتماعية – جامعة القصيم

د. عبد العزيز بن عبدالله بن صالح أبا الخيل
قسم الأدب - كلية اللغة العربية
والدراسات الاجتماعية – جامعة القصيم

تاريخ تقديم البحث: ٢٠ / ٣ / ١٤٤٠هـ تاريخ قبول البحث: ٤ / ٨ / ١٤٤٠هـ

ملخص الدراسة:

يستعرض هذا البحث ما كتبه رواد النقد والبلاغة العربية عن الأسلوبية، وذلك من خلال محورين، يعرض المحور الأول منهما ما قالته الدراسات النقدية العربية عن الأسلوبية، من حيث الحديث عن نشأة الأسلوبية في سياقها الغربي، ثم عرض تعريف الأسلوب باعتبار المرسل، وباعتبار المستقبل، وباعتبار النص، ثم جاء بعد ذلك طرح مفهوم الأسلوبية، وذكر أبرز سماتها وخصائصها.

ثم جاء المحور الثاني ليستعرض تلقي الباحثين العرب للأسلوبية، كاشفاً عن ثلاثة مواقف وقفها الدارسون العرب من الأسلوبية، وهي: أولا: موقف الرفض، أي رفض الأسلوبية جملة وتفصيلا، ومعظم هؤلاء الرافضين هم من المهتمين بدراسة البلاغة العربية بشكلها التراثي، إذ يرون كفاية البلاغة العربية وعدم الحاجة للأسلوبية، وثانياً: موقف الاستبدال: وهم الذين يرون أن لا حاجة للبلاغة؛ لأن الأسلوبية أغنت عنها، حيث أصبحت هي الوريث الشرعي لإرث البلاغة، فقد أصبحت الأسلوبية في نظرهم هي الأداة المعتمدة لقراءة أي نص أدبي، وثالثاً: موقف التفاعل: ويرى أصحاب هذا الرأي إمكانية التوفيق بين الأسلوبية والبلاغة؛ وذلك بأن نستفيد من الرؤى البلاغية العربية الأصيلة المتوافقة مع الأسلوبية، وأن نعيد توظيفها في دراسة النصوص الأدبية المعاصرة. ومال البحث إلى رأي الفريق الثالث الذي يرى إمكانية حدوث تفاعل إيجابي بين البلاغة العربية والدراسات الأسلوبية، حيث يمكن استثمار التقاطع المعرفي بين المجالين في دراسة أدبية النص، والكشف عن جمالياته.

المقدمة:

يحاول هذا البحث استعراض ما كتبته الدراسات النقدية والبلاغية العربية عن الأسلوبية؛ سواء من حيث التعريف بها وعرض مفهومها وأبرز سماتها، أوأهم المواقف التي اتخذها النقاد والبلاغيون العرب من هذا الوافد النقدي الجديد، وسوف يتم تناول هذا الموضوع عبر محورين؛ يتحدث أولها عن مفهوم الأسلوبية في الدراسات العربية المعاصرة، ويتحدث ثانيها عن تلقي هذه الدراسات العربية للأسلوبية بالقبول والرفض.

تجدر الإشارة إلى أن هذا البحث قد وقف عند الدراسات الأولى والشخصيات العربية الرائدة فقط؛ لأن الكتابة عن كل ما كُتب في النقد العربي حول الأسلوبية لن تكفيه هذه الصفحات اليسيرة.

المحور الأول: مفهوم الأسلوبية في الدراسات العربية:

رغم حداثة الدراسات الأسلوبية في الغرب إلا أن هناك دراسات غربية حديثة ترى انحسارا للأسلوبية، وتُعلن موتها مؤكدة بأن زمنها قد انتهى، وقد أشار إلى ذلك الدكتور سعد مصلوح في كتابه (في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة)، وهو يعرض هذا الرأي دون أن يتفق معه؛ وإنما ذكره كي يُفنده[1].

إن هذا يؤكد على أن الخلاف حول الأسلوبية قبولاً أو رفضاً ليس خلافاً عربياً فقط، وإنما حدث كذلك في سياقات الأسلوبية في الغرب، وهذا الخلاف يبدو طبيعياً؛ لأن أي وافد جديد سيجد من يعارضه في بدايات نشأته.

---

١ انظر: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، د. سعد مصلوح، نشر: جامعة الكويت، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ص١٠وما بعدها.

لقد نشأت الأسلوبية كأثر من آثار الثورة اللسانية ؛ حيث شهدت هذه الدراسات ثورة عارمة قبل عدة عقود، قادها جمع من العلماء والباحثين، وقد كان من أشهر هؤلاء العالم السويسري (دي سوسور) ؛ الذي تبنى التفريق بين اللغة والكلام، وكان لهذا التفريق دور كبير في نشأة الأسلوبية ؛ حيث يرى (سوسور) بأن (اللغة) هي تلك القواعد المحفوظة في عقل الإنسان، وهذه القواعد هي التي تمكّن الإنسان من إنشاء الكلام ومن ثَمَّ النطق به وفقا لهذه القواعد، سواء أكانت هذه القواعد نحوية، أم صرفية، أم دلالية، أم صوتية.

أما(الكلام) عنده فهو التطبيق العملي لهذه القواعد عبر فعل التلفظ الذي يقوم بمحاكاة هذه القواعد المخزنة في العقل ؛ وهذا يعني بأن الكلام في اللسان، بينما اللغة في العقل[1] ؛ ومن هنا فإن (اللغة) هي تصور ذهني قاعدي معياري، أما (الكلام) فإنه قد يلتزم بهذه القواعد وقد يكسرها ؛ إما بالتقديم أو بالتأخير أو بغيرهما.

ومن ثَمّ فإن الفرق بين اللغة والكلام أشبه ما يكون بين الحكم القضائي والقانون المبني عليه ذاك الحكم ؛ فالقانون(بشكله المجرد) بمثابة اللغة، وأما الحكم فهو تطبيق لهذا القانون، وكذلك فإن اللغة هي عبارة عن قانون عقلي موجود في الذهن، أما عند تطبيق هذه القوانين فإنه قد يُلتزم بها وقد يخالف، وقد يقترب منها وقد يبتعد عنها، وهذا ما يُسمى بـ(الكلام).

---

١ انظر: علم اللغة العام، فردينان دي سوسور، ترجمة: د.يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٤م، ص٣٧- ٣٨.

وانطلاقا من هذا فإن اللسانيات تهتم بدراسة اللغة بوصفها ظاهرة إنسانية لا ترتبط بتراث ولا بلغة محددة ؛ بقصد معرفة القوانين التي تضبط لغة الإنسان ؛ فاللسانيات إذن هي محاولة لدراسة اللغة في شكلها القاعدي المجرد.

وقد كانت بدايات الأسلوبية تتجه إلى دراسة الكلام للنظر في الأثر الذي يتركه أسلوب الإنسان الفردي على قواعد اللغة وقوانينها ؛ حيث يتم التعامل مع هذا المنتج الفردي ودراسته للتعرف على أسلوب هذا الكلام من حيث تمثيله لصاحبه ؛ وهل كان ملتزما بالمعايير اللغوية أم لا ؟

لقد اتجهت اللسانيات- بشكل عام- إلى دراسة اللغة، أما الأسلوبية فقد بدأت بدراسة الكلام، وإذا كانت الأولى تهتم باللغة بوصفها الجمعي الذي يشترك فيه متكلمو اللغة ؛ فإن الثانية اهتمت—في أول نشأتها—بدراسة الكلام ؛ كي تتلمس البصمة الفردية التي يتركها الإنسان المتكلم/الفرد على هذه اللغة، ثم تقيس مدى التزامه بقواعد هذه اللغة ومدى مخالفته لها، وأسباب هذه المخالفة، ومن هنا انطلقت بدايات الدراسات الأسلوبية، لكنها تحـــــولت - فيما بعد- لتختص بدراسة لغة الأدب وحدها، وسبب اختصاصها هو أن لغة الأدب تعد أجلى مظهر يضع فيه الإنسان بصمته الخاصة وتصرفه الفردي على اللغة، ومن هنا اختصت الأسلوبية بدراسة لغة الأدب فقط ؛ لأنه أيضا يمثل المظهر الذي يعكس اللغة الإنسانية من خلال التصرف والتفرد الإنساني ؛ كون الأدب هو الإبداع الإنساني الخالص الذي لا يمثل اللغة بعمومها، وإنما يمثل قائلها.

وتتفق الأسلوبية مع الشعرية من حيث إن نشأتهما في النقد الغربي الحديث جاءت عبر الاهتمام بالدراسات اللسانية والبنيوية، وكانت بدايته مع

الشكلانيين الروس، ويعد رومان ياكبسون الناقد الرائد في الشعرية التي "تأسست في فضاء لساني وفي شعرية لسانية أسلوبية وسيميولوجية"[1]، وبخاصة حين جعل الوظيفة الشعرية من وظائف اللغة والتواصل؛ حيث يتمثل الدور المحوري للوظيفة الشعرية في التأكيد على الرسالة لذاتها من خلال العنصر الذي لا غنى عن وجوده في أيّ عمل أدبي، إلا أن الفرق بين الأسلوبية والشعرية يكمن في أن الأسلوبية تدرس بنية النص الأدبي، أما الشعرية فإنها تدرس بنية النوع الأدبي.

إن ما سبق من كلام يكشف لنا بأن "أهم مبدأ أصولي يستند إليه تحديدُ حقلِ الأسلوبية يرتكز أساسا على ثنائية تكاملية هي من مواضعات التفكير اللساني، وقد أحكم استغلالها (سوسور)، وتتمثل في تفكيك مفهوم الظاهرة اللسانية إلى واقعين، أو لنقل إلى ظاهرتين وجوديتين: ظاهرة اللغة وظاهرة العبارة... والكلام باعتباره الظاهرة المجسِّدة للغة قد ساعد على حصر مجال الأسلوبية؛ إذ لا يمكن أن تتصل إلا بالجدول الثاني من الظاهرة؛ وهو الحيّز العملي المحسوس المسمى: عبارة أو خطابا أو نصا أو رسالة أو طاقة بالفعل"[2].

---

(١) الشعرية والحداثة بين أفق النقد الأدبي وأفق النظرية الشعرية، بشير تاوريريت، دار رسلان، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص٤٩. يمكن الإشارة إلى أن بعض النقاد ربط بين تطور الشعرية ومبدأ العلة القياسي، وميز بين نموذجين مختلفين جدا من نماذج القياس؛ الأول يتخذ المدلول موضوعا له، والثاني يتخذ الدال أصلا لمنطلقه. انظر: مجلة علامات: الشعرية والقياس: فرانسوا ريجولو، منذر عياشي ج٥، ربيع الأول ١٤١٣، سبتمبر، ١٩٩٢م، النادي الأدبي في جدة، ص ١٨٩.

٢الأسلوبية والأسلوب، د.عبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، طرابلس، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢م، ص٣٨- ٣٩.

لقد جاءت الأسلوبية ثورة على ما سبقها من دراسات كانت تعتمد على قدرات الناقد وثقافته وذائقته، وربما خلطت تلك الدراسات بين دراسة الأدبي وغير الأدبي؛ كأن تهتم بمفردات علوم الاجتماع أو النفس أو التاريخ؛ وبالتالي جاءت الأسلوبية لتنفي كل هذه الأشياء وتخلّص الأدب مما لا يدخل في اختصاصه؛ بحيث تركّز على دراسة الأدب ولغته بعيدا عن أي سياق خارجي، كما حاولت التخلص من الجانب الذوقي الصرف من خلال المعايير العلمية المنهجة لدراسة أي عمل أدبي، ومن هنا فإن الأمر في الأسلوبية لا يخضع للذوق ولا للاجتهاد ولا لأي مؤثر خارجي.

يتضح مما سبق أن الأسلوبية هي الدراسة العلمية للأسلوب الأدبي، أما الأسلوب فهو الشيء المدروس؛ ولذا سمَّى عبدالسلام المسدي كتابه (الأسلوبية والأسلوب)؛ حيث جعل الأسلوب شيئا، كما جعل الأسلوبية شيئا آخر[1]، ومن ثَمَّ فإن الأسلوب هو ميدان الدراسة؛ بينما الأسلوبية هي طريقة الدراسة، وسنعرض في الصفحات الآتية تعريف الأسلوب، ثم تعريف الأسلوبية.

تعريف الأسلوب:

من الواضح أن الأسلوبية تدرس (الأسلوب الأدبي)، ولهذا يعرّف الباحثون العرب الأسلوبَ بتعريفات عدة؛ تأسيسا على دلالته اللغوية؛ حيث جاء في لسان العرب قوله: "ويُقال للسطر من النخيل: أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، قال: والأسلوب الطريق، والوجه، والمذهب؛

---

١ انظر: الأسلوبية والأسلوب، ص٣٤ وما بعدها.

يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويُجمع على أساليب، والأسلوب: الطريق تأخذ فيه، والأسلوب بالضم: الفن؛ يُقال: أخذ فلان في أساليب من القول؛ أي في أفانين منه"[1].

وقد ورد تعريف الأسلوب في التراث العربي عند عبدالقاهر الجرجاني بأنه "الضرب من النظم، والطريقة فيه"[2]، كما عرّفه ابن خلدون بأنه "عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب..."[3].

أما في الدراسات المعاصرة فليس للأسلوب تعريف واحد؛ وإنما هناك أكثر من منظور تم النظر إليه في محاولات تعريف الأسلوب، ذلك أن لكل نص أدبي ثلاثة أركان؛ هي: المرسل وهو(المبدع)، والمستقبل وهو (المتلقي)، والرسالة وهي (النص)، وقد تنوعت تعريفات الأسلوب باختلاف هذه الأشياء الثلاثة؛ حيث عرّفه البعض بالنظر إلى المرسل، والبعض الآخر عرّفه بالنظر إلى المستقبل، والبعض الثالث عرّفه بالنظر إلى الرسالة.

أولا: التعريف باعتبار المرسل:

هناك مفهومان يعكسان كيف أن الأسلوب يمكن أن يُنظر إليه باعتبار المرسل:

---

١ لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٠٠ه، ١/٤٧٣.

٢ دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، ص٤٦٩.

٣ مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، تحقيق: عبدالله بن محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ٢/٣٩٧.

١- المفهوم الأول الذي يعدّ من أشهر الرؤى المعروفة عن الأسلوب؛ وهي رؤية موجودة قبل نشوء الأسلوبية؛ حيث ترى بأن الأسلوب هو انعكاس لكاتبه، وهي تنطلق من العبارة الشهيرة: إن الأسلوب هو الرجل[١]، بل هو الإنسان نفسه[٢]؛ أي أن الأسلوب يعكس لك طبيعة تفكير الكاتب وثقافته.

٢ – المفهوم الثاني الذي يرى أن: الأسلوب هو "انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معيّن"[٣]؛ بمعنى أن لدى المنشئ عددا من السمات اللغوية المتاحة؛ كالاستعارة، والحذف، والتقديم، والتأخير... وعليه أن ينتقي من هذه الأساليب التعبيرية ما شاء، وهذه الأساليب المنتقاة هي ما نسميه بـ(الأسلوب).

ثانيا: التعريف باعتبار المستقبل:

أي من يوجّه إليه الكلام، ويوجد هذا في المفاهيم التراثية القديمة التي تركز على الفعل التواصلي في البلاغة؛ حيث ترى أن البلاغة فعل تواصلي، وأنها محاولة لإيصال مجموعة من الأفكار والمعاني والمفاهيم إلى المستقبل من خلال استعمال مجموعة من الأساليب البلاغية، وهذا يظهر في التعريف

---

١ ينظر: الأسلوبية في الخطاب العربي، د.عبدالعاطي كيوان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ص١٦.

٢ ينظر: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، د.صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ص٩٦. علما بأن هذه العبارة خاصة بعالم اللغة الفرنسي: بوفون.

٣الأسلوب، دراسة لغوية إحصائية، د. سعد مصلوح ، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ص٣٧- ٣٨.

اليوناني أيضا للبلاغة ؛ حيث إنها "الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان"[1] ، والمقصود بالإقناع هنا ؛ أي : إقناع المتلقي ، وبالتالي فإن الأسلوب - بحسب ما تتبناه البلاغة اليونانية- هو مجموعة من الوسائل التعبيرية التي يمكن استخدامها في التأثير على المستقبل لإقناعه ، وربما لتغيير بعض قناعاته.

كما يظهر هذا المفهوم في التراث العربي من حيث تعريفه للبلاغة بأنها : "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"[2] ، ولو رجعت إلى حديث البلاغيين العرب فستجد أن معظم الشواهد التي يستشهدون بها للكلام الذي لم يطابق بها مقتضى الحال هيتلك الشواهد التي لم يراع فيها حال المخاطب ، مما جعل بعض دارسي البلاغة العربية يتّهمها بالاهتمام بالمخاطب وإهمال المرسل ! وهذا الرأي شائع لكنه غير مقبول عندنا ؛ حيث اهتمت البلاغة العربية بالمتكلم والمخاطب على حدّ سواء[3].

---

١ بحث بعنوان : المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي ، محمد العمري ، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية ، المغرب ، مطبعة النجاح ، ١٩٩١م ، عدد : ٥ ، ص٨.

٢ الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣ م ، ص٢٠.

٣ تَتَبَّعَ الدكتور جميل عبدالمجيد الأغراض التي ترجع إلى المتكلم أو المخاطب في (أحوال المسند إليه) ، وقد وجد أن٥٥٪ من الأغراض الشعرية ترجع إلى المتكلم ، وأن٤٥٪ منها يرجع إلى المخاطب ، وهذا كله يكشف عن اهتمام البلاغة العربية بالمخاطب والمرسل على حد سواء. انظر : البلاغة والاتصال ، د.جميل عبدالمجيد ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص٣٥.

ويظهر مثل هذا الوعي التراثي في الدراسات الأسلوبية المعاصرة في مفهومها للأسلوب ؛ حيث يُنظر هناك إلى "إثبات حضور المتقبّل في عملية الإبلاغ ، فإذا استندنا إلى التجربة اهتدينا إلى أن المتكلم عامة يكيّف صيغة خطابه حسب أصناف الذين يخاطبهم"[1] ، ولهذا يتّجه "رواد التنظير والتحليل إلى اعتبار الأسلوب ضغطاً مسلّطاً على المتقبّل"[2].

ويظهر هذا الوعي أيضا عند (ريفاتير) الذي يحدد الأسلوب اعتماداً على أثر الكلام في المتقبّل ، فيعرّفه بأنه "إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام وحمل القارئ على الانتباه إليه ، بحيث إذا غفل عنها شوّه النص ، وإذا حلّلها وجد لها دلالات تمييزية خاصة"[3]. ويفضي "هذا التقدير بـ(ريفاتير) إلى اعتبار أن البحث الموضوعي يقتضي ألا ينطلق المحلّل الأسلوبي من النص مباشرة ، وإنما ينطلق من الأحكام التي يبديها القارئ حوله"[4].

إن هذا الكلام يكشف حضور الوعي عند بعض دارسي الأسلوبية بالنظر إلى الأسلوب في ضوء المتلقي الذي يتجه إليه الكلام.

ثالثا : التعريف بالنظر إلى الرسالة :

وهنا يمكن ذكر مفهومين :

١ –ينطلق المفهوم الأول للأسلوب من خلال مفهوم (شارل بالي) الذي يرى أنه يقوم على تضمين النص وسائل التأثير اللازمة ؛ فدور الأسلوبي

---

١ الأسلوبية والأسلوب ، ص٨٠.

٢ الأسلوبية والأسلوب ، ص٨١.

٣ الأسلوبية والأسلوب ، ص٨٣.

٤ الأسلوبية والأسلوب ، ص٨٣ ، ٨٤.

يتمثل في "الكشف عن الوقائع التعبيرية داخل الأوساط التي تختص بها، والمناسبات التي تصلح لها، والأغراض التي تدعو إلى اختيارها"[1]؛ إننا نلاحظ هنا أن (شارل بالي) يركّز على ما تتضمنه الرسالة (النص) من وسائل التعبير المؤثرة، وعلى تفاعل أجزاء النص مع بعضها؛ وذلك من أجل إظهار طاقات النص التعبيرية.

٢- في حين ينطلق المفهوم الثاني من فكرة العدول أو الانزياح؛ وتكاد "جل التيارات التي تعتمد الخطاب أسّا تعريفيا للأسلوب تنصبّ في مقياس تنظيري هو بمثابة العامل المشترك الموحد بينها؛ ويتمثل في مفهوم الانزياح"[2]، وإن شئت إعادته بشكل آخر فإنك تستطيع أن تقول: إنه عدول وانزياح عن صياغة الرسالة كما هو مفترض؛ حيث يُفترض أن تصاغ الرسالة بشكل معين وفق قوانين الصوت والصرف والنحو... لكن الأسلوب يأتي أحيانا ليعدل عن هذه القوانين، ولقد رُوعي في هذا التعريف لغة النص؛ وذلك من حيث إن العدول لا يكون في المرسل ولا في المستقبل، وإنما يكون في لغة النص فحسب.

وقد حاول الدكتور صلاح فضل- بعد أن ذكر هذه المفاهيم المختلفة- أن يختار واحدا من عدة تعريفات للأسلوب؛ فاختار من بينها هذا التعريف الذي يقول عن الأسلوب بأنه: "مظهر القول الذي ينجم عن اختيار وسائل التعبير، هذه الوسائل التي تحددها طبيعة ومقاصد الشخص المتكلم أو

---

١ الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالي، أسسها ونقدها، د.محي الدين محسب، إصدار: نادي القصيم الأدبي، مطابع السلمان، بريدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ص٢١.
٢ الأسلوبية والأسلوب، ص٩٧.

الكاتب"[1]، ونلحظ هنا أن الدكتور فضل راعى المرسل، لكنه أهمل الرسالة والمستقبل، وهو يرى أن هذا التعريف من أفضل التعريفات الخاصة بالأسلوب، وقد أبان في كتابه هذا أسباب تفضيله له[2]، وهو - على أية حال- أحد التعريفات الكثيرة التي تصل إلى أكثر من ثلاثين تعريفا، لكنها انطلقت جميعها إما من منظور المرسل أو المستقبل أو الرسالة.

تعريف الأسلوبية وسماتها:

يمكن تعريف الأسلوبية من خلال ما كتبته الدراسات العربية عنها بأنها: الدراسة العلمية لأسلوب الإبداع الأدبي في ضوء اللسانيات المعاصرة، وهذا التعريف يؤكد لنا أن الأسلوبية تتميز بالسمات الآتية:

أولا: أن الأسلوبية دراسة علمية؛ أي أن ثمة قوانين ومعايير وقواعد علمية منضبطة تحكم الدراسة الأسلوبية، ويمكن مقاربة الأدب من خلالها[3]، وهذا - كما قلنا- يختلف عن الدراسات السابقة التي كانت تعتمد على الذوق وترتكز على ثقافة الكاتب، ذلك أن "المنطلقات المبدئية في التفكير الأسلوبي قد حددت منحى الأسلوبية نحو علم تحليلي تجريدي يرمي إلى إدراك الموضوعية في حقل إنساني عبر منهج عقلاني يكشف البصمات التي تجعل السلوك الإنساني ذا مفارقات عمودية[4].

---

١ علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، ص٩٦. وهذا التعريف خاص بالأديب الفرنسي: (بيير جيراو).

٢ انظر: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، ص٩٦- ٩٧.

٣ انظر: الأسلوبية والأسلوب، ص٣٤.

٤انظر: الأسلوبية والأسلوب، ص ٣٧.

ثانيا: أنها تدرس الأسلوب واللغة؛ ذلك أن النص يمكن أن يُدرس من أكثر من زاوية؛ إما فكرية أو اجتماعية أو علمية أو دينية... وتقتصر الأسلوبية على دراسة الأسلوب واللغة، فهي تنظر إلى النص من المنظور اللغوي فقط، وهذا يعني بأن الأسلوبية تكتفي بدراسة الجانب اللغوي أو اللساني في الأدب فقط بعيدا عن الجوانب الأخرى؛ فهي لا تنظر إلى الشاعر ولا إلى عصره ولا إلى مجتمعه، وإنما تجعل تركيزها منصبا على الأسلوب اللغوي، ومن هنا فإنها تتشابه مع البنيوية التي تدرس العمل الأدبي من الداخل فقط؛ حيث "يقصر التفكير الأسلوبي نفسه على النص في حد ذاته بعزل كل ما يتجاوزه من مقاييس تاريخية أو نفسية"[1].

كما أنها تدرس كيف يتحول الأسلوب من كونه أسلوبا إخباريا مجردا إلى كونه أسلوبا انفعاليا تأثيريا جماليا؛ حيث تقوم الأسلوبية "بدراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية"[2].

ثالثا: إذا كانت الأسلوبية تدرس اللغة فإنها لا تدرسها في أي نص، وإنما تقتصر على دراستها في العمل الأدبي، ذلك أن الأسلوبية تقتصر على دراسة الإبداع الأدبي فقط، وإن كانت في بدايتها تدرس تفرد الكلام الإنساني للكشف عن جوانب الإبداع في الكلام المنطوق، لكنها انتهت الآن إلى أن أصبحت منهجا لدراسة الخطاب الأدبي فحسب؛ ومن هنا فإن الأسلوبية "لا

١الأسلوبية والأسلوب، ص٣٥.

٢الأسلوبية والأسلوب، ص٣٦.

تبحث عن شرعية لوجودها إلا في الخطاب اللساني أينما كان ؛ فهي إذن مُطلقة الوجود حيثما كان كلام، ولكنّ علة وجودها اليوم وقْفٌ على كينونة الحدث الأدبي"[1].

رابعا: تستفيد الأسلوبية من دراسة اللسانيات المعاصرة للغة ؛ حيث جاءت هذه الدراسات بمجموعة من الأدوات والإجراءات والرؤى، وقد أخذت الأسلوبية من اللسانيات هذه الإجراءات وتلك الرؤى وحاولت أن تدرس بها الأسلوب الأدبي، وهذا ما يجعل بعضهم يسميها بـ(الأسلوبيات اللسانية)[2] ؛ فالأسلوبية تحاول أن تستفيد من مناهج اللسانيات المعاصرة التي اهتمت بدراسة اللغة، وأن تستفيد كذلك من أدوات اللسانيات في دراسة أي عمل أدبي ؛ فبعض الدارسين يؤكد على "الصلة العضوية بين الظاهرة الأدبية وحقول الدراسة اللسانية، محددين هذه الصلة على أساس أن اللغة هي القاطع المشترك لدائرتين متداخلتين ؛ فهي في اللسانيات موضوع العلم ذاته، وهي للأدب المادة الخام"[3].

خامساً: تُعنى الأسلوبية بالجانب العاطفي والشعوري في اللغة، وهذا واحد من أهم الفروقات التي تميّز الأدب عن غيره من الكلام ؛ حيث إنه يهتم بالحديث عن المشاعر والأحاسيس ؛ أي دراسة الجوانب العاطفية، فالأسلوبية إذن تحاول استقصاء تلك الجوانب التي يتضمنها الكلام أو الأدب، وهذا لا

١الأسلوبية والأسلوب، ص٤٢.

٢ كسعد مصلوح ؛ وذلك في كتابه: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة.

٣الأسلوبية والأسلوب، ص٤٦.

يمكن رؤيته في المسرح ولا في السينما ولا في غيرهما، فهي إذن "تُعنى بالجانب العاطفي في الظاهرة اللغوية، وتقف نفسَها على استقصاء الكثافة الشعورية التي يَشحن بها المتكلمُ خطابَه في استعماله النوعي؛ لذلك حدّد (بالي) حقل الأسلوب بظواهر تعبيرِ الكلام وفعل ظواهر الكلام على الحساسية"[1].

* * *

١الأسلوبية والأسلوب، ص٤١.

المحور الثاني: تلقي الباحثين العرب للأسلوبية:

يمكن القول: إن للدارسين والباحثين العرب تجاه الأسلوبية ثلاثة مواقف؛ سنذكرها إيجازا، ثم نعاود الحديث عنها بالتفصيل:

١- **موقف الرفض:** أي رفض الأسلوبية جملة وتفصيلا، ومعظم هؤلاء الرافضين هم من المهتمين بدراسة البلاغة العربية بشكلها التراثي؛ ومن هؤلاء الدكتور محمد أبو موسى وذلك من خلال كتابه: (دلالات التراكيب)؛ وفيه حاول أن يقدم مرافعة للدفاع عن البلاغة العربية، وهو يرفض أن تكون الأسلوبية وريثاً للبلاغة العربية، ومِمَنْ نهج نهجه ورفض الأسلوبية أيضا الدكتور عبدالعظيم المطعني[١]، والدكتور محمد الدسوقي[٢].

٢ **-موقف الاستبدال:** ويرى أصحاب هذا الرأي قبول الأسلوبية جملة وتفصيلا على أنها طريقة مستقلة منفصلة لمقاربة الكلام الأدبي؛ فهم يرون أن لا حاجة للبلاغة؛ لأن الأسلوبية أغنت عن كل ما سبق، بل أصبحت هي البديل الوحيد.

إن أصحاب هذا الموقف يرون أن الأسلوبية هي الوريث الشرعي للبلاغة العربية التي ولّت بلا رجعة - كما يقولون- ؛ وأنها كافية بذاتها ولا حاجة إذن إلى البلاغة؛ بل إنها أصبحت هي الأداة المعتمدة للدراسة والبحث في

---

١ انظر: علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية، د.عبدالعظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٢هـ، ص٦- ٧.

٢ انظر: موروثنا البلاغي والأسلوبيات الحديثة، دراسة وموازنة، د. محمد دسوقي، دار اليسر، القاهرة، ص٢٥ وما بعدها.

قراءة أي نص أدبي، وممن نهج هذا النهج الدكتوران: عبد السلام المسدي[1]، وصلاح فضل[2].

٣ -**موقف التفاعل:** ويرى أصحاب هذا الرأي إمكان التوفيق بين الأسلوبية والبلاغة؛ وذلك بأن نستفيد من الرؤى البلاغية العربية الأصيلة المتوافقة مع الأسلوبية، وأن نعيد توظيف دراسة النصوص الأدبية المعاصرة على ضوء الدراسات الحديثة كالأسلوبية التي لا تعارض بينها وبين البلاغة العربية، وممن حاول التوفيق ما بين الأسلوبية والبلاغة العربية: الدكتور شكري عيّاد؛ الذي يعدّ من أوائل من كتبوا عن الأسلوبية، وكذلك الدكتور محمد عبدالمطلب، وذلك في كتابه: (البلاغة والأسلوبية)[3]، وكذلك الدكتور سعد مصلوح في كتابه: (في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة)[4]، وفيما يأتي من سطور تفصيل للحديث عن كل فئة من هذه الفئات الثلاث.

الفئة الأولى: فئة الرفض:

ذكرنا آنفا أن منهم الدكتور محمد أبو موسى؛ وذلك في كتابه: (دلالات التراكيب)؛ حيث اتضح رفضه للأسلوبية المعاصرة في مقدمة هذا الكتاب؛

---

١ انظر: الأسلوبية والأسلوب، ص٤٢، ٥٢.

٢ انظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٧ وما بعدها.

٣ انظر: البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبدالمطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ص١٩٠ وما بعدها.

٤ انظر: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص١٣ وما بعدها، وص٢٢ وما بعدها.

حيث يرى أن علم الأسلوب موجود في البلاغة العربية الأصيلة، فهو "فرع من فروعها أو وجه من وجوهها، تمده ويمدها وتثريه ويثريها، وليس بلازم أن يكون بديلا لها أو وريثا لا يقف في ساحاتها إلا بعد أن توارى ثرى قبرها، كما هو الحال عند أمم أخرى وفي لغات أخرى وبلاغات أخرى، وأكثر الدراسات الأسلوبية التي دارت في المرحلة الأخيرة تؤكد هذه الفكرة؛ وهي أن علم الأسلوب لا بدّ له أن يمتص من عظام أمه (البلاغة)، وألا يزدهر إلا بمقدار ذبولها"[1].

إن أبا موسى يرفض الأسلوبية بصورتها الغربية؛ لأنه يرى أن ما تقوله الأسلوبية حاضر في البلاغة العربية الأصيلة، ومن هنا فهو يرى أن لا حاجة لوجود الأسلوبية.

وفي كتابه الآخر: (الإعجاز البلاغي)يدوّن مرافعة عن البلاغة العربية في سبع صفحات؛ وفيها ينبه إلى خطر هذه المناهج الوافدة، وكيف أنها تقوم على سلخ المسلم العربي من دينه وقيمه ومبادئه، وأنها تعدّ سلسلة من سلسلات تغريب العالم الإسلامي[2].

ومن هؤلاء الرافضين أيضا الدكتوران: عبدالعظيم المطعني، ومحمد الدسوقي؛ وهما من علماء البلاغة التقليدية؛ حيث ألف الأول كتابه: (علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية)؛ مشيرا - تحت عنوان (كلمة

---

١ دلالات التركيب، دراسة بلاغية، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م، ص١٩.

٢ انظر: الإعجاز البلاغي، دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م، ص٤ وما بعدها.

للتاريخ)- إلى دافعه نحو تأليف هذا الكتاب ؛ حيث تعاقدتْ معه جامعة أم القرى في مكة المكرمة كي يُدرّس فيها ، وكان ذلك في عام ١٤٠٩هـ ، وحين وصل إلى الجامعة بعد عدة أيام من بدء الدراسة أُسند إليه تدريس مقرر علم الأسلوب ولم يكن له سابق علم بهذا المقرر ؛ لأن هذا المنهج ومفرداته تختلف تماماً عما درَسه أو درَّسه فيما سبق ، مما جعله في حرج ، فإنْ درّسه بالطريقة التي وُضع بها المنهج فإنه سيخالف مبادئه وقيمه ، وإن درّسه بطريقته هو فإنه سيغضب الجامعة التي قررّت مفردات هذا المنهج... فأخذ يشرح الفكرة كما يفهمها هو من علم الأسلوب ، ثم يعقب بوجهة نظره وفق ما تعلمه من خلال دراسته للبلاغة العربية ، إلى أن يقول : "هذا المنهج الذي نهجته عَلِمَ به بعض المسؤولين في الكلية فضاقوا به ذرعا ، وأوحوا إلي بالعدول عنه ، لكنني لم أستجب ؛ لأن الموضوع يتعلق بشخصية الأمة وليس مجرد اختلاف مقبول في الحقل المعرفي ، ورد للظلم الواقع على تراث الأمة الذي هو واجب على كل أبنائها المخلصين ، ثم بدأتْ المضايقات تتلاحق ؛ لأن المنهج الموضوع لتدريس المادة - والذي قوّمت اعوجاجه- منهج وضعه بعض الحداثيين من مصر ومن أبناء المملكة العربية السعودية ، وكان للحداثة في المملكة في تلك المدة وجود قوي ، لدرجة أن بعض السعوديين وضعوا عدة كتب في فضحها والرد عليها. وقد شارك في مواجهته وفضحها مفتي السعودية العام الشيخ عبدالعزيز بن باز (يرحمه الله) ، وكان مما قاله فيها : كنت أظن أن الحداثة مذهب أدبي نقدي ، لكن تبين لي أنها تمثل اتجاها عقديا. ومن مبادئ الحداثة العربية مبدأ يسمونه محو القَبْلية ؛ ويعنون به محو كل ما كان قديما وبناء الحياة على أسس جديدة لم يكن لها وجود من قبل. ورائد الحداثيين العرب

هـو أدونيس السوري الجنسية المعروف، ويكفي أن يعرف عنه القارئ أنه صاحب الدعوة إلى إلغاء تفاسير القرآن وإعادة تفسيره من جديد، ويقصد بذلك أن القرآن ليس فيه ثوابت، بل يتغير معناه جيلا بعد جيل، وهو صاحب مقولة: إن الإلحاد هو قمة الحرية، ومبدأ محو القبلية ينسجم تماماً مع المنهج الذي وضعه الحداثيون لتدريس علم الأسلوب؛ لأنهم حاولوا فيه محو التراث العربي الإسلامي من الوجود"[1].

ثم يختم حديثه برأيه القاطع حول الأسلوبية فيقول: "أما النتيجة الحاسمة التي أسفرتْ عنها هذه الدراسة، وكنت أُرددها على الطلاب والطالبات بكثرة فهي أن البحث الحديث في علم الأسلوب في الغرب ليس فيه فكرة صحيحة إلا وقد سبق تراثنا العربي الإسلامي إليها نظرا وتطبيقا، وإن كان هناك جديد لدى مفكري الغرب؛ فهو في مجرد التسمية، أما أصل الفكرة فتراثنا زاخر بها، وقد يكون للفكرة عندنا مصطلح خالفه الغربيون؛ فوضعوا لها مصطلحا حديثا، وليس في هذا جديد ذو بال في الواقع المحسوس"[2].

ويحمد للدكتور المطعني هذه الغيرة والحب لتراثنا العربي الأصيل، إلا أنه لا يوافق على هذه الأفكار التي يطرحها، وذلك أن التاريخ أثبت - كما سيأتي بعد قليل- استطاعة التراث العربي صهر المكون الأجنبي في ثنايا التراث العربي، وتطويعه لخدمة الهوية واللغة العربية، مثلما حدث مع المنطق والفلسفة اليونانية. يضاف إلى ذلك أن الواقع يشهد على أن عدداً كبيراً من

---

١ علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية، ص٧.

٢ علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية، ص ٦- ٧.

أساتذة الأدب العربي ممن يحملون كامل التقدير والاحترام لتراثنا وإسلامنا قد بدأوا يستخدمون الأسلوبية دون أن يؤثر ذلك على احترامهم لهذا التراث، أو انسلاخهم منه.

كما ألف الدكتور محمد دسوقي كتابا أسماه: (موروثنا البلاغي والأسلوبية الحديثة دراسة وموازنة)؛ وفيه حاول أن يوازن بين البلاغة في شقها التراثي وبين الدراسات الأسلوبية الحديثة، لكنه يخلص في آخر الكتاب إلى أنّ ما سبق قوله يدعونا إلى أن نكرر ونؤكد على أن "المناداة بالتجديد في ميدان العلوم البلاغية يشوبها الكثير من المخاطر والمحاذير التي تستوجب أن نتحسس لأجلها مواطئ أقدامنا، وأن ننتبه لما يريده عدونا... وما ذلك إلا لارتباطها أولا ارتباطا أساسيا ببلاغة القرآن، ولاستعصائها ثانيا عن الانضواء تحت الحداثة أو أي من مسميات التغيير التي تبغي التوفيق ما بين الرؤى العربية والرؤى الغربية، ولما تتميز به ثالثا من دقة وخصوصيات لا يمكن معها أن تنصاع لنوازع التجديد الغربية على نحو ما تأثرت به الدراسات الأدبية والنقدية على سبيل المثال"[1].

إن ملخص ما يقوله الدكتور دسوقي هو أن الاستفادة من علوم الغرب ومحاولة ربطها بالبلاغة العربية يشكل خطرا على القرآن الكريم وعلى لغته التي إنما كانت معرفتها الحقة عن طريق البلاغة العربية، كما يشكل خطرا على التراث أيضا؛ لأن هذه المناهج الغربية الجديدة - كما يقول الدسوقي- قد جاءت وهي مستجيبة لسياق ثقافي وحضاري وفكري معين،

---

١ موروثنا البلاغي والأسلوبيات الحديثة، دراسة وموازنة، ص١٠.

وبالتالي فإن إدخالها إلى الدراسات العربية قد يؤدي إلى تسلل تلك الثقافات وتلك الأفكار التي لا تتناسب مع ثقافتنا الإسلامية، ومن هنا فالأولى رفضها، إنه يَعدّ- في موضع آخر من خاتمة كتابه- هذا البحث الأسلوبي (عدوانا) - بهذا اللفظ- على تراث العرب وفكرهم![1]

ومن الطريف في الأمر أن هذا الكتاب: (موروثنا البلاغي والأسلوبية الحديثة) ليس له علاقة بالأسلوبية البتة؛ حيث إن المؤلف لا يعرف بدقة معنى الأسلوبية! إنما هو في حقيقته نقاش حول كتابَي: (فن القول)، و(مناهج تجديد البلاغة) للأستاذ أمين الخولي، ونحن نعرف تماما أن ظهور مؤلفات الخولي كان قبل أن تظهر لدينا الدراسات الأسلوبية، وبالتالي فإن هذا الكتاب يُثبت لك حقا أن بعض الباحثين والدارسين قد يكتب عن بعض القضايا والأفكار وليس لديه القدرة الكافية لأن يكتب فيها، فهو إذن يكتب عن شيء مختلف تماما عن تخصصه، وذلك ما صنعه الدكتور الدسوقي حول كتابته عن مؤلفات الأستاذ الخولي التي إنما كانت عن تجديد البلاغة العربية، بينما يعتقد الدسوقي أن هذه هي الأسلوبية!

وإذا كان الدسوقي يعتقد أن ما كتبه أمين الخولي خطر على التراث والدين والقرآن؛ فكيف سيكون رأيه حينما ينظر إلى ما كتبه الأسلوبيون الذين أخذوا كل ما جاء من الغرب بحذافيره!

ونشير إلى أن محاولات أمين الخولي إنما كانت عن تجديد البلاغة العربية من خلال فهمه هو للتراث العربي؛ فهي تبدو محاولة تجديد بريئة، ولم تستفد

---

١ موروثنا البلاغي والأسلوبيات الحديثة، دراسة وموازنة، ص٦٧.

كثيرا من مؤلفات الغربيين بقدر ما كان يحاول أن يجدد في البناء البلاغي العربي من الداخل ؛ إن التجديد عند الخولي لم يكن "انعتاقا لا ضابط له من أسر القديم"[1].

ونكرّر ونعيد بأن هذه من أبرز المشاكل التي نعانيها أحيانا مع بعض الباحثين ممن تجده يتناول بعض القضايا العلمية، لكن مدار بحثه قد يكون في مجال مغاير وبعيد كل البعد عما يكتب عنه!

وخلاصة القول: فإن بعض الذين وقفوا ضد الأسلوبية رأوا أنها خطر على دين المسلمين وعقيدتهم، وعلى أدبهم وتراثهم ؛ كما أنهم يرونها حلقة من حلقات التغريب التي يراد منها سلخ الأمة عن هويتها!

ومع كل التقدير والاحترام لحماسة هذا الفريق وغيرتهم على دينهم وتراثهم ؛ فإن الإنسان الجاد المنصف المتجرد يعرف أن المعرفة طير حر ليس له أرض ولا سماء، وبالتالي فإنه يمكن الاستفادة منها في أي مكان وفي كل آن ؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، وربما يكون هذا جانبا من جوانب الحكمة المنشودة.

الفئة الثانية: فئة الاستبدال:

في كتابه (علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته) يردّ الدكتور صلاح فضل على هؤلاء الذين يزعمون بأن مثل هذه المناهج الجديدة الوافدة تشكل خطرا على ثقافة أمتنا وتراثها، متناسين بأن الأمة في القرنين الثاني والثالث الهجريين قد انفتحت عليها كل ثقافات العالم، كما تُرجم إليها مجموعة من شتى العلوم

---

١ في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، ص٣٩.

اليونانية والهندية والفارسية، ومع ذلك فإن كل تلك الثقافات اضمحلت وذابت، وصارت جزءا من الثقافة العربية الإسلامية.

إنه يؤكّد على أن البلاغة العربية قد "تغذّت بلبان الفلسفة والبلاغة اليونانية، واصطنعت كثيراً من مناهجهما وأدواتهما، دون عقوق لمنبعها الأصيل، أو مساس بعبقرية لغتها الخاصة... ولم تلبث أن تكونت بداخلها تيارات ومدارس بعضها أدبي بياني، والثاني كلامي منطقي، والثالث مغربي أرسطي، حتى بلغت مرحلة الاستواء العلمي والنضج التاريخي جعلتها تقف شاهداً على قدرات أهلها وإنجازاتهم الحضارية المرموقة في أزهى عصور العطاء العربي المجيد"[1].

إن معظم الذين كتبوا في علوم اللغة هم من غير العرب؛ فسيبويه وعبدالقاهر الجرجاني والزمخشري والسكاكي وغيرهم كثير هم من الفرس، إننا يجب أن لا نخاف كثيرا على الثقافة العربية ولا على التراث العربي؛ فمثلما أن الثقافة العربية والتراث العربي استطاعت أن تصهر كل تلك المقومات المترجمة- حينما لم يكن لدى العالم العربي ثقافة حصينة في القرنين الهجريين: الثاني والثالث- فإنه سيكون أقدر بعد ألف وأربعمائة سنة من أن يستفيد من تلك المكونات في ظل هذا التراث الطويل وتلك التجارب العديدة، بل إنه يستطيع أن يطوّع تلك المناهج الجديدة والوافدة لأن تصبح جزءا من بنية التراث العربي؛ مثلما أصبحت المترجمات التي كانت في القرنين الهجريين: الثاني والثالث جزءا من ثقافة الإنسان العربي. وكأن د.

---

١ علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص٧.

صلاح فضل يرى هنا إمكان أن تكون هذه المناهج رافداً من روافد دراسة أدبنا ولغتنا.

وهذا ما يتبناه أيضا الدكتور عبدالسلام المسدي الذي يرفض الخلط ما بين البلاغة والأسلوبية، مؤكداً على أن الأسلوبية علم قائم مستقل بذاته، له أسسه ومبادئه ومفاهيمه الخاصة به، وكذلك البلاغة علم قائم مستقل بذاته له أسسه ومبادئه ومفاهيمه الخاصة به، وفي ذلك يقول: "أما أغرب الروابط وأعجبها؛ فهي التي تقوم على يد بعضهم بين الأسلوبية والبلاغة ولاسيما في مجال الممارسة الشارحة، ووجه العجب أن بعض الباحثين العرب ممن رسخت قدمهم في معالجة النصوص، وتأكدت قدرتهم على النهل من النظريات وقوي صبرهم على مد أنفاس البحث والاستقراء لا يسلمون معنا أن الأسلوبية ما لم تبتكر تصوراتها النظرية ومقولاتها التصنيفية حتى تتميز كيفا وحجما عن تقسيمات البلاغة وصورها فإنها تنتقض من حيث تريد أن تكون بديلا في عصر البدائل، ذلك أنها تفقد بالضرورة كل علة لوجودها، ومن بديهيات المعرفة أن العلم لا يستقيم عوده بين العلوم ولا يتفرد بهوية تحده بالجمع والمنع بين إخوته إلا إذا ظفر بمادة في البحث لم يسبق إليها سابق، أو اكتشف منهجا مستحدثا يتناول به مادة لم يسبق لعلم من العلوم أن تناولها بذلك المنهج، وعلم الأسلوب من ضروب الصنف الثاني؛ وهو في ذلك صنو لعلم اللسان؛ فقد نشأت اللسانيات على أنقاض فقه اللغة؛ فقامت بديلا عنه تقره بالكسب ثم تنقضه من حيث تتجاوزه بقفزة معرفية هي بالضرورة قطيعة في مصادرات منهج العلم؛ فمادة فقه اللغة وعلم اللسان واحدة هي الظاهرة اللغوية، ولكن المنهج بينهما مختلف بل متقابل، فكان لزاما - وقد اتحدت

المادة وافترقت المناهج- أن تتباين المواضيع وأن تتخالف التصنيفات؛ فيفترق المضمون المعرفي وتتنوع النتائج، والثمرة من ذلك كله أن يستقل كل من العلمين بأسسه المعرفية ومواضعاته المنهجية"[1].

مما سبق يتضح لنا جليا أن الدكتور المسدي يرى أن الأسلوبية علم حديث له منطلقاته وأسسه وتصوراته ومبادئه الخاصة به؛ وهي تختلف في نظره اختلافا تاما عن البلاغة العربية، وبالتالي فإنه لا إمكان لأن يتم المزج أو الخلط بينهما.

إنه يؤكد - في هذا الكتاب- على أن الأسلوبية هي الوريث الشرعي للبلاغة، وأنها قامت بديلا عنها[2]، وهو ما يفهم أيضاً من كلام الدكتور صلاح فضل الذي يتحدث عن (علم الأسلوب)، ودوره "كوريث شرعي للبلاغة العجوز التي أدركها سن اليأس، وحكم عليها تطور الفنون والآداب الحديثة بالعقم"[3].

وخلاصة القول إن الدكتور عبدالسلام المسدي والدكتور صلاح فضل - كما يُفهم من ظاهر كلام الأخير- يريان بأن علم الأسلوب علم قائم بذاته له مبادئه وتصوراته التي تنفصل تماما عن البلاغة العربية؛ وأن البلاغة لم تعد لديها القدرة الكافية على التعامل مع جماليات العمل الأدبي،

---

١ الأسلوبية والأسلوب، ص٦- ٧.

٢ انظر: الأسلوبية والأسلوب، ص٤٢، ٥٢.

٣ علم الأسلوب، د.صلاح فضل، ص٥. وقد استخدم أيضاً الدكتور محمد عبدالمطلب وصف الأسلوبية بأنها الوريث الشرعي للبلاغة. ينظر: البلاغة والأسلوبية، ص١٩١.

وبالتالي فإنهم لا يرون ذاك الرأي الذي يدعو إلى المزج بين هذين العلمين أو استفادة أحدهما من الآخر.

الفئة الثالثة: فئة التفاعل:

هؤلاء يرون إمكان التوفيق ما بين البلاغة والأسلوبية؛ حيث يقولون بأن البلاغة العربية لديها مجموعة من الإجراءات التي يمكن أن يُستفاد منها في الدراسة الأسلوبية، وقد أشار بعضهم إلى بعض الملامح الأسلوبية في التراث البلاغي العربي.

وقد كتب أستاذ النقد الأدبي الدكتور أحمد يوسف علي مقالا بعنوان: (البلاغة العربية بين الموت والإحياء)؛ وفيه نجده يخلص إلى أن البلاغة العربية تحتاج إلى أمرين لازمين: أحدهما تأصيل الجديد، والآخر تجديد الأصيل، ثم أشار إلى أنموذجين من علماء النقد والبلاغة المعاصرين ممن ينطبق عليهم هذان الأمران؛ أحدهما الدكتور سعد مصلوح، والآخر الدكتور شكري عياد[1].

لقد ذكر أنموذجين للنقاد الذين يرى أنهم قد طبقوا إمكان تجديد الأصيل؛ بمعنى أن هناك أشياء في البلاغة العربية تحتاج إلى شيء من التجديد؛ كي تُقدم بشكل يتناسب مع عصرنا، كما أن هناك أشياء جديدة ظهرت في البلاغة غير العربية يمكن أن نؤصل لها وأن نبحث عن أصولها في البلاغة العربية[2].

ومن أشهر من تبنى هذا الرأي - وهو إمكان التوفيق ما بين البلاغة والأسلوبية- الدكتور سعد مصلوح؛ وذلك في كتابه (في البلاغة العربية

---

١ ينظر: مجلة الخطاب، من منشورات جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، عدد: ٢١، ٢٠١٦م، ص٨١.

٢ ينظر: مجلة الخطاب، ص٨١ وما بعدها.

والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة)؛ وفيه حاول أن يربط بين البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة[1]؛ وقد أشار إلى الجدل الذي قيل حول (مفتاح العلوم) للسكاكي؛ وذلك حينما زعم بعض الدارسين أن هذا العالِم قد أفسد البلاغة العربية في كتابه هذا، وأنه قد حوّلها إلى مجموعة من القواعد الجافة الصمّاء الجامدة[2]، إلى أن خلص مصلوح إلى نتيجة نهائية؛ وهي أن السكاكي كان ينطلق من فكرة تقترب –وإن كانت لا تتطابق تماما- من مفهوم الدراسات الأسلوبية الحديثة[3].

إن مصلوح يشير إلى أن السكاكي تناول - في كتابه (مفتاح العلوم)- العلوم الثلاثة: الصرف والنحو والبلاغة، ثم يقول: إن دراسة السكاكي قد جنى عليها اللاحقون؛ لأن السكاكي ألف كتابه من ثلاثة أقسام، لكن من جاء بعده أخذ القسم الثالث فقط، ثم قام بتناوله ولم يتناول جميع ما ورد فيه؛ حيث ضرب بالقسمين الأولين عرض الحائط[4].

ثم يشير إلى أن السكاكي ربما كان يتقاطع مع الفكرة التي ترى بأن العمل الأدبي يمكن أن يُدرس من أكثر من جانب، لكن الذين جاءوا بعده اجتزأوا عمله؛ حيث "عمدوا إلى الكتاب؛ فجعلوا (المفتاح) عِضين، واجتزأوا ثالث أقسامه، وغفلوا عن تأخذ مباحثه التي أراد بها السكاكي تأسيس علم

---

١ انظر: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، ص١٣ وما بعدها.

٢ انظر: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، ص٢٩- ٣٠.

٣ انظر: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، ص٣٠، ٨١.

٤ انظر: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، ص٥١- ٥٢.

للأدب"[1]، لقد اعتبر هؤلاء أن هذا القسم المجتزأ هو الذي يتعلق بدراسة العمل الأدبي كله[2]، وقد جانبوا الصواب في ذلك كثيرا.

ومن هنا فإن مصلوح يرى أن عمل السكاكي كان واحدا من الجهود المهمة المضيئة التي لم تُفهم ممن جاء بعده من حيث الوقوف على أكثر من جانب من جوانب دراسة العمل الأدبي ؛ حيث يرى أن دراسة السكاكي يمكن أن تقع "تحت ما يمكن أن يسمى أسلوبيات اللغة ؛ وهو المبحث الذي يعالج الطاقات الأسلوبية التعبيرية الكامنة والمحتملة للغة بعينها"[3] ؛ وهو ما يعني أن ماكتبه الدكتور مصلوح هنا هو أحد الخطوات الهامة التي حاول فيها مؤلفها أن يؤسلب لنا البلاغة العربية ؛ أي أن يقدمها بقالب أسلوبي جديد.

وهذه النظرة التي ترى إمكان التوفيق بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية تظهر أيضا في كتاب الدكتور محمد عبدالمطلب(البلاغة والأسلوبية) ؛ حيث حاول أن يرجع إلى البلاغة العربية القديمة، وأن يستخرج ما يراه يتقاطع مع بعض الرؤى الأسلوبية، وقد تناول أهم ملمحين تنظر إليهما الأسلوبية في قراءة أي عمل الأدبي ؛ وهما العدول والتوازي، محاولاً التأصيل لوجودهما في البلاغة العربية.

لقد تناول الدكتور عبدالمطلب العدول ليس كما طرحه الباحثون في الأسلوبيات المعاصرة، وإنما رجع إلى نماذج من العدول في البلاغة العربية

---

١ في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، ص٨٢.

٢ انظر: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، ص ٦٥- ٦٦.

٣ في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، ص٧٤.

الأصيلة[1] ، وحينما تكلم عن (التوازي) - الذي أسماه التكرار النمطي[2]- رجع أيضا إلى نماذج من البلاغة العربية الأصيلة، فهو إذن يتفق مع هذه الرؤية التي تحاول أن تؤصل الجديد ؛ حيث إن العدول والتكرار النمطي مصطلحان جديدان، لكنه حاول أن يبين أصولهما في التراث العربي.

وممن دعا أيضا إلى التوفيق ما بين الأسلوبية والبلاغة الدكتور شكري عيّاد، وتجربته شبيهة إلى حدّ ما بتجربة الدكتور عبدالعظيم المطعني السالفة الذكر ؛ حيث درَّس في جامعة الملك سعود في الرياض قبل أكثر من ثلاثين عاما، ولم يكن هناك مقرر لمادة الأسلوب، فاضطر إلى تدريسه، وقد وضع له كتابا أسماه: (مدخل إلى علم الأسلوب)[3]، لكنه لم يرفض الأسلوبية كما فعل الدكتور المطعني من قبله، وإنما رأى بأن هذا منهج جيد يمكن الاستفادة منه في دراسة الأدب العربي، وهو ما دفعه إلى أن يؤلّف كتابا آخر أسماه: (اللغة والإبداع نحو علم الأسلوب العربي)[4]، أو (مقدمة في علم الأسلوب العربي)، وأيضاً : (اتجاهات البحث الأسلوبي[5]) وكأنه أراد أن يؤصل تماما لهذا المنهج الجديد.

---

١ ينظر: البلاغة والأسلوبية، ص٢٦٨ وما بعدها.

٢ ينظر: مجلة الخطاب، ص٢٨٩ وما بعدها.

٣ انظر: مدخل إلى علم الأسلوب، د. شكري محمد عيّاد، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ص٤٣ وما بعدها.

٤ انظر: اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، د. شكري محمد عيّاد، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، نشر: ناشيونال بريس، ص٦ وما بعدها.

٥ انظر: اتجاهات البحث الأسلوبي ،د. شكري محمد عيّاد، دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٨٥م، ص٢١١ وما بعدها.

والـذي يظهـر لنـا - بعـد تأمـل هـذه المواقـف الثلاثـة الـسابقة تجـاه الأسلوبية- أن أحراها بالاتباع هو رأي الفئة الثالثة ؛ وهو الرأي الذي يرى التوفيق بين البلاغة العربية والدراسات الأسلوبية المعاصرة، ويقوم على محاولة الاستفادة من أدوات البلاغة العربية وكيفية توظيفها في الدراسة الأسلوبية.

إننا مع كل التقدير والاحترام لحماس الفريق الذين رفضوا الأسلوبية بسبب غيرتهم على الدين والتراث (الفئة الأولى)، إلا أن الإنسان الجاد المنصف المتجرد يعرف بأننا لو قمنا بتأصيل هذا الطرح الأسلوبي الجديد بما يشابهه في تراثنا العربي ، فإننا سنسلم بإذن الله من هذه المحاذير، وذلك لأن ما سيُطرح هو أفكار مستقاة من تراثنا البلاغي واللغوي العربي قد أعيد ترتيبها وتبويبها، ومن ثم يمكن القول إن بإمكاننا الاستفادة من هذه التصورات الأسلوبية الجديدة بعد تطويعها لتراثنا وسياقنا العربي.

* * *

خاتمة ونتائج:

- نشأت الأسلوبية من مبدأ التفريق بين اللغة والكلام الذي جاء به (سوسور)؛ حيث تعمل الأسلوبية على دراسة مستوى الكلام.
- تستفيد الأسلوبية في دراسة الأدب من طريقة الدراسات اللسانية وإجراءاتها في دراسة اللغة.
- تنظر الدراسات الأسلوبية إلى الأسلوب إما بالنظر إلى المرسل أو المستقبل أو الرسالة.
- ظهرت مواقف النقاد والبلاغيين العرب في ثلاثة مواقف: إما رفض الأسلوبية جملة وتفصيلا، أو القبول التام لها مع رفض التوفيق بينها وبين البلاغة العربية، أو الدعوة إلى التوفيق بين البلاغة العربية والدراسات الأسلوبية المعاصرة.

(انتهى بحمد الله)

* * *

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

- اتجاهات البحث الأسلوبي، د. شكري محمد عيّاد، دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٨٥م.
- الأسلوب، دراسة لغوية إحصائية، د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
- الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالي، أسسها ونقدها، د. محي الدين محسب، إصدار: نادي القصيم الأدبي، مطابع السلمان، بريدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- الأسلوبية في الخطاب العربي، د. عبدالعاطي كيوان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- الأسلوبية والأسلوب، د. عبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، طرابلس، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢م.
- الإعجاز البلاغي، دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ه- ـ٢٠٠٣ م.
- البلاغة والاتصال، د. جميل عبدالمجيد، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبدالمطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.
- دلالات التركيب، دراسة بلاغية، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.
- دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية، د. عبدالعظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٢هـ.

- علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، د.صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
- علم اللغة العام، فردينان دي سوسور، ترجمة: د.يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٤م.
- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، د. سعد مصلوح، نشر: جامعة الكويت، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م،.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٠٠ه.
- اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، د. شكري محمد عيّاد، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، نشر: ناشيونال بريس.
- مدخل إلى علم الأسلوب، د. شكري محمد عيّاد، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- موروثنا البلاغي والأسلوبيات الحديثة، دراسة وموازنة، د. محمد دسوقي، دار اليسر، القاهرة.

ثانياً: البحوث والمجلات:

- بحث بعنوان: المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي، محمد العمري، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، المغرب، مطبعة النجاح، عدد: ٥.١٩٩١م.
- مقال بعنوان: البلاغة العربية بين الموت والإحياء، د. أحمد يوسف علي، مجلة الخطاب، من منشورات جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، عدد: ٢١، ٢٠١٦م.

* * *

- Our rhetorical legacy and modern stylistics, Study and balancing, Dr: Mohammed Desoky, El-Yosr House, Cairo.

Journals

- Discourse and the poetic contexts in the rhetorical lesson, Mohammed Al-Amry, Journal of Linguistic, Literary, and Semiotic Studies, Morocco, Al-Najah Printing Press, Number 5 1991AD.
- The Arab rhetoric between death and resurrection, Ahmed Yousef Ali, Journal of Discourse, the University of MouloudMamariPublications, TiziOuzou, Algeria, number 21, 2016AD.

❊ ❊ ❊

List of References:

- Shokry Mohammed Ayad, Trends of Stylisticsresearch,Dar al-Uloom, Alryad, First Edition, 1415 Hijri, 1982.
- Saad Maslouh, Style: Statistical linguistic analysis, 'Alam Al-Kutub, Cairo, Third Edition, 1412 Hijri, 1992 AD.
- The Expressive Stylistics of Charles Bali, Founded and criticized by Dr: MohieyEl-DeenMohaseb, Release: Al-Qassim Literary Club, Al-Salman Printingpress, Burayda, First Edition 1418 Hijri.
- Stylistics in Arabic discourse, Abd El-AtyKewan, Dar Al-Nahdah, Egypt, Cairo, 1420Hijiri,-2000AD.
- Style and stylistics, Abd El-Salam El-Masdy, Dar Al-Kitab Al-Arab, Libya, Tripoli, Third Edition, 1982AD.
- Rhetorical miracles,an analytical study of the heritage of scholars, Dr: Mohammed Mohammed Abu Mossa, Wahba Library, Cairo, first edition 1405Hijri-1984AD.
- Clarification in rhetoric, Al-Khateeb Al-Qazwiny, Putting footnotes: Ibrahim Shams El-Deen, Scientific Books House, Beirut, first edition 1424Hijri 2003AD.
- Rhetoric and communication, Gameel Abd El-Mageed, Ghareeb House, Cairo,2000 AD.
- Eloquence and stylistic, Dr: Mohammed Abd El-Motaleb, Egyptian General Book Authority, Cairo 1984AD.
- Composition semantics, Rhetorical study, Dr: Mohammed Mohammed Abu Moussa,Wahba Library, Cairo, Second edition, 1408 Hijri-1987AD.
- Signs of miracles, Abd El-Qader El-Jirjany, Achieve: Mahmoud Mohammed Shaker, El-Khanjy Library, 1404Hijri 1984AD.
- The science of style in literary and critical studies, Dr: Abd El-Azeem El-Matany, Wahba Library, Cairo, 1422 Hijri.
- The science of style, Principles and procedures, Dr: Salah Fadl, Egyptian General Book Authority,Second edition, 1985AD.
- General Linguistics, Ferdinand de Sussor, Translate by: Yueel Yousef Aziz, Afaq Arabia house, Baghdad, 1984AD.
- In Arabic rhetoric and linguistic stylistic, New Horizons, Dr: Saad Maslouh, Published by: Kuwait University, Kuwait, first edition, 2003AD.
- Tongue of the Arabs, IbnManzour, Sader house, Beirut, first edition 1300Hijri.
- Language and creativity, Principles of Arabic Style Science, Dr: Shokry Mohammed Ayad, first edition 1988Ad, Published by: National press.
- Introduction to stylistics,Shokry Mohammed Ayad, Second edition,1413Hijri-1992AD.
- Introduction by Ibn Khaldun, Abd El-Rahman EbnKhaldun, verified by: Abdallah Mohammed Al-Darweesh, El-Balkhy House, Damascus, first edition,1425 Hijri 2004 AD.

Stylistics and the Attitude of Arab Scholars towards it

Prof. Ibrahim Mansour Alturki
Professor of Rhetoric, Qassim University
Dr: Abdul-AzizAbdullah Abaalkhiel
Assistant Professor of Literature, Qassim University

Abstract:

This paperreviews the literature of Arab pioneering critics and rhetoricians on stylistics in two areas. The first area presents Arabic critical studies onstylistics in terms of discussing the origins of stylistics in its Western context, then giving a definition of stylistics according to the addresser, the addressee and the text. Then the concept of stylistics was discussed in addition to its most prominent features and characteristics.The second area explores the reception of Arab researchers to stylistics, revealing three positions of Arab scholars to stylistics.(1) Rejection:They categorically reject stylistics. Most of those rejectionists are interested in studying Arabic rhetoric traditionally; they think that Arabic rhetoric is adequate and there is no need of stylistics.

(2) The position of substitution: they believed that there is no need for Arabic rhetoric because stylistics has eliminated the need for it.

It has become the legitimate heir to the legacy of rhetoric. Stylistics in their view, is an approved tool for reading any literary text.

Finally: the attitude of collaboration: According to this view, reconciling stylistic and rhetorical is possible, by benefiting from the authentic Arabic rhetorical visions that are compatible with stylistics, and re-employing them in the study of contemporary literary texts. This research tended to agree with the opinion of the third group, which sees the possibility of a positive interaction between Arabic rhetoric and stylistic studies, where the intersection between the two fields can be invested in the study of the literary text and reveal its aesthetics.